This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

تمهيد:

وتغليب إلي جانب الفقراء ونقد المجتمع، علي أنّ في الشعر جانبا من جوانب الدين الذي

يوجب البساطة في كلّ شيء، وحين انتشرت موجة الفساد والتحلل في المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر نشط الأئمة، والعلماء، والأدباء، والصالحون من وعاظ وزهاد في دعوة الناس إلي حياة التقوى والصلاح وتحذيرهم من السقوط في أوحال الأهواء والشهوات وتذكيرهم بحقيقة الدنيا واليوم الآخر. وكما قد وفّر الحكم العباسي للعرب رخاء العيش وامتدّت موجة من الترف فينشد الشعراء للناس أغاني المجون، اندفقت في الوقت نفسه علي بلاد العرب مجاري الحكمة فنشأت في كلّ ذلك نزعة زهدية تواصل الحركة التي نجدها في الأدب العربي منذ أقدم عصوره وكان زعيم هذه النزعة في العهد العباسي أبو العتاهية(١) .

والزهد الذي حث عليه الدين الحنيف هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، تحكم بها وليس العكس، فينفق ويجود ويعطي، كما قال تعالى :{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يؤتِي مالَه يتزَكَّى * وما لِأَحدٍ عِنده مِن نِعمةٍ تُجزى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى }(٢)، وليس الزهد إعراضا عن الدنيا في كل الحالات، ولا إهدارا لقيمة المال التي هي جزء أساسي من مقومات الحياة الاقتصادية للأمة، وهو أيضا ليس انسحابا من

---

١ – أبو العتاهية :عربي الأصل هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية، من قبيلة عنزة بالولاء، وأمه من موالي بني زهرة وهي بنت زياد المحاربي، ولد في العام مئة وثلاثين هجرية قبيل سقوط الدولة الأموية بعامين، بالقرب من الكوفة في بلدة عين التمر، من أسرة فقيرة تعيش من عرق جبينها، ولا تكاد تبلغ لقمة العيش إلا بشق الأنفس، حيث كانت تصنع الفخار، فيحمله أبو العتاهية على ظهره ويبيعه وهو ينادي عليه بصوت عال ندي بعبارات تعد مقاطع شعرية، وقد أتهم بالزندقة، والبخل، مذاهب الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالبعث وأنه لم يكن صادقا في زهدياته، فكان مادة دسمة للنقاد لحد الساعة. توفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل ثلاث عشرة ومئتين هجرية ببغداد.

– انظر :الأصفهاني أبو الفرج :الأغاني، شرحه وكتب هوامشه :سمير جابر، دار الفكر :بيروت –لبنان، ج 4 ص3

– انظر :الزركلي، خير الدين :الأعلام، 1980 م، دار العلم للملايين :بيروت،ط5 ،ج 1 ص 221 ، وابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه :محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج 1 ص 225 ، 228، وابن قتيبة :الشعر والشعراء، دار الثقافة :بيروت –لبنان، 1964 ،ج 1 ص675 .

٢ – سورة الليل ، الآية : ١٧–١٨–١٩–٢٠–٢١.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

والسير فيض من هذا الغرض الشعري، وأكثر ما نجد هذا اللون الشعري لدى العباد والزهاد والعلماء، بينما هو قليل ضامر لدى مشاهير الشعراء الذين شغلتهم الأغراض الأخرى للشعر عن هذا الغرض، والمتقدم في هذا الغرض من أعلام الشعراء بلا منازع هو أبو العتاهية، فقد استحوذ الزهد على معظم شعره. وسوف نحاول في هذه الدراسة تبيين التناصات الدينية في الشعر الزهدي لأبي العتاهية.

٣ – صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٥)،إعداد مجموعة أساتذة مختصين بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير، دار السلام – القاهرة– مصر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

أولا – تعريف التناص :

أ– لغة: إن كلمة التناص مأخوذةٌ من الجذر اللغوي((نص ونصص)) ومن الدلالات اللغوية لهذا الجذر هي:– الرفع– والظهور وأقصى الشيء. فالنصُّ((رفعك الشيء. نص الحديث يَنُصُّه نصاً : رَفَعَهُ وكل ما أُظهر فقد نُص ، والمنصة ما تُظهَرُ عليه العروس لتُرى ، ومنه قولهم نَصَّصتُ المتاع إذا جعلت بعضه على بعضٍ ، ونص الرجل نصاً إذا سأله عن شيءٍ حتى يستقصي ما عنده ، ونص كل شيءٍ منتهاه)) .([٤])

وفي هذه المعاني ما يوحي ببعض مفاهيم التناص التي تعني وجود إشارات من نصوص سابقة في نص لاحق .

ولـ((النص)) دلالة أُخرى وهي الحركة فيقال((حيةٌ نصناص كثيرةُ الحركةِ))([٥]). وهذا يقارب حركة النصوص وتداخلها مع بعضها وهو ما أُطلق عليه حديثاً بالنص المهاجر. والنص كذلك الإسناد والتوقيف([٦]). وتدلُّمادة((نصَّ)) أيضاً على الازدحام التي ورد ذكرها في تاج العروس في قولة ((تناص القوم ازدحموا))([٧]) وفي ذلك أيضاً إشارة إلى مفهوم التناص حيث تجتمع النصوص في مكان واحد وتتداخل كما يوحيه فعل الازدحام .

وقد جاءت كلمة ((النص)) في معلقة امرئ القيس في قوله :

وجيدٍ كجيد الرِّئم ليس بفاحشٍ إذا هي نَصّته ولا بمُعطّلِ([٨])

٤– ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩، مادة نصص: ١٤/١٦٢ ؛ ينظر : أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، مادة نصص:ص ٦٣٥–٦٣٦.

٥– الفيروز أبادي، القاموس المحيط ،أعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣ : مادة نصص :ص ٥٨٢.

٦– ينظر تاج العروس ، الزبيدي ، تح : عبد الكريم الغرباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٧٩ : مادة نصص :ص ١٨، ٨٢.

٧– نفس المصدر : ١٨/٨٢.

٨– ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٦٩ ،ص ١٦.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

وقول الأخطل:

ألا طرقت أم العلا بعد هجعة بأرض تنادي الحي نهي وسيطها

ولفظة ((نَصَّته)) في البيت الأول جاءت بمعنى الرفع وفي البيت الثاني جاءت بمعنى التقارب والتداخل بين الأرض الحزنة المتعرجة والأرض السهلة وأشارت المعاجم الحديثة إلى المعاني نفسها التي أشارت إليها المعاجم القديمة لكلمة النص والتناص فهما بمعنى الرفع والإسناد والازدحام والحركة ([١٠]) .

ب- اصطلاحا : مفهوم التناص Intertextuality يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيراً مباشراً . أو غير مباشر . على النص الأصلي في وقتٍ ما.

جوليا كرستيفا عرفت التناص Intertextuality بأنه التفاعل النصي في نص بعينه، فهو: "التفاعل النصي داخل النص الواحد وهو دليل علي الكينونة التي يقوم بها النص بقراءة التاريخ والاندماج فيه"([١١]).

ويعرفه ميشيل ريفاتير بأنه "هو إدراك القارئ للعلاقات الموجودة بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت تالية عليه"([١٢]).

فالتناص كما تؤكد هذه التعريفات حتمية لا غنى عنها للنص الأدبي أراد الكاتب ذلك أم لم يرده فهو محكوم به و عليه رغم أنفه، حيث إنه قد يحصل دون أن يكون ذلك بقصد الكاتب بل يقع فيه من خلال مخزونه الأدبي في الذاكرة.

١- صنعه، السكري ،شعر الأخطل ، تح : فخر الدين قباوه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ، ط٤ ، ١٩٩٦ ، ٤٠٦ .

١٠- إبراهيم، مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا ، ١٩٨٩ : مادة نصَّ ٢ : ٩٢٦ .

٣- جان إيف تاديه : النقد الأدبي في القرن العشرين . ترجمة : د. قاسم المقداد . الطبعة الأولي . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق . سوريا . ١٩٩٣ م . ص ٣١٨ .

٤- بيير مارك دوبيازي:. نظرية التناصية . ترجمة : الرحوتي، عبد الرحيم . مجلة علامات . الجزء ٢١ . مجلد ٦ . جدة . المملكة العربية السعودية . سبتمبر ١٩٩٦ م . ص ٣١٤ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

في تحليل النص وإدراكه"(١٣) وكانت البلغارية (جوليا كريستيفا:J,Kristeva) أول من ندع هذا المصطلح في دراساتها النقدية بين سنتي ١٩٦٦و١٩٦٧ مع أنها أشارت إلى استعارتها له من باختين إذ اعترفت بفضله في التنظير النقدي له في إطار الشكلانية الروسية، بينما كان بارت وكريستيفا يستعملان هذا المصطلح في سياق نظري عام متصل بالكتابة النصية. "وكان باختين قبل كريستيفا، قد تحدث في علاقة النص بسواه من النصوص دون أن يذكر مصطلح التناص. بل استخدم مصطلح (الحوارية) لتعريف العلاقة الجوهرية التي تربط أي تعبير بتعبيرات أخري. فكل خطاب على رأي باختين يعود إلي فاعلين وبالتالي إلي حوار محتمل"(١٤). ثم توالت الجهود التي فعلت هذا الحقل عند الناقد الفرنسي رولان بارت الذي أثرى هذا المصطلح في دراسات كانت إرهاصات بتبلوره في الثقافة الغربية في عام ١٩٧٣م؛ ولاسيما في كتابه "لذة النص"؛ وتعد دراساته إحدى أبرز علامات تبلوره في الثقافة الغربية. وأخيراً حاول الفرنسي جيرار جينيت أن يحول هذا المصطلح إلى منهج بعد أن جمع أطرافه وفصل القول فيه، وذلك باعتماده على جهود سابقيه.

وكان مصطلح التناص قد لقي في الغرب عدداً من الاختلافات المنهجية وكثرة التعاريف منذ لحظة انطلاقه مع رؤية كريستيفا، وذلك لكثرة الأقلام التي تلقفته في النقد الغربي فأشاعت فيه التعدد غير النهائي ، إن هذا الاختلاف والتعدد يبدو أمراً طبيعياً إذا عرفنا أن من أبرز ملامح هذا المصطلح في ذاته اللانهائية وعدم البراءة.

أما جيرار جنيت فيعرف "العبر نصية" أو "التعالي النصي" Transtextuality بأنه "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى"(١٥) ، ثم أضاف إضافةً

١- حاتم الصكر : ترويض النص : دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر: إجراءات.. ومنهجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . ٢٠٠٧ م . ص ١٨٤

14- نفس المرجع . ص ١٨٤ .

٣- جيرار جينيت : مدخل لجامع النص . ترجمة:عبد الرحمن أيوب الطبعة الثانية . دار توبقال . المغرب . ١٩٨٦ . ص ٩٠

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

العناوين، والعناوين الفرعية، والمقدّمات، والذيول، والصور، وكلمات الناشر، و"الميتانص" (Métatextualité) الذي يعني تضمين النصّ وحدات نصيّة سابقة عليه دون تنصيص عليها، و"النص اللاحق" (Hypertexte) الذي يعني تحويل نص سابق أو محاكاته، و"معمارية النصّ" التي تحدّد الجنس الأدبي للنصّ: شعر، رواية، قصة. وبتتبّع تجليات هذه الأنواع الخمسة في مصادر الدراسة يخلص المرء إلى أنّ ثمّة نوعين رئيسيين فحسب: "التناص"، و"الميتانصّ"، لأنّ "المناصّ"، كما يبدو من تعريف "جينيت" له فعالية خارج نصيّة، بسبب وقوعها خارج المتن الحكائي للنصّ، ولأنّه لا يعني نصاً من دون آخر بل يشمل الإبداع الروائي بعامّة، كما يشمل مختلف الأجناس الأدبية الأخرى أيضاً"(١٦)، ويمكن إجمال هذه الأصناف على أنها(١٧):

ا. **التناص** : ويحصره جنيت في حالات حضور فعلي لنص في نص أخر.

ب. **المناص أو البارانص (النصية الموازية)**: وهي العلاقة التي يقيمها النص مع محيطه النصي المباشر. ويتكون من إشارات تكميلية مثل العنوان، المدخل، التعليقات... إلخ.

ج. **الميتانص (العلاقة النقدية)**: هي العلاقة الواصفة، علاقة التفسير والتعليق التي تربط نصاً بآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به.

د. **الهيبرنصية (النصية المتفرعة)**: علاقة تجمع نص لاحق (متفرع أو متسع) مع نص سابق (أصل أو منحسر).

هـ. **النصية الجامعة (معمارية النص)**: وهي علاقة تسمى العلاقة البكماء بين إشارة واحدة من النص الموازي، وهي إشارة الانتماء التصنيفي لصنف عام مثل (رواية، شعر... إلخ) وينتقد جان ماري شافر الأصناف التي حددها جيرار جينيت للتناص؛ فيقول: "إذا

١- نضال الصالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق . سوريا. ص ٢١٣. 2001.

17- راجع ؛ نهلة فيصل الأحمد. التفاعل النصي. مرجع سابق. ص ١٧٦ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

اتبعنا المصطلحات التي اقترحها "جيرار جينيت"، فإن الأجناسية (المسماة النصية الـ
أو ... ومظاهر "التعالي النصي" التي تقوم كذلك ... النص بعنوانه وعنوانه الفرعي، وبصورة أعم بسياقه الخارجي)"(١٨).

ثالثا – التناص في النقد العربي :

١– التناص في النقد العربي القديم :

سعى الكثير من الدارسين العرب المحدثين إلى ربط التناص بما يوجد في الفكر النقدي العربي القديم كالسّرقات الأدبيّة والاقتباس، وسوف نحاول في هذه الدراسة تتبع هذه المفاهيم ومعرفة علاقتها بمصطلح التناص بمفهومه الحالي:

١–١– السرقات الشعرية : البلاغيون العرب اهتموا اهتماماً متبايناً بموضوع السرقة، فـ "السرقة داء قديم وهي قاسم مشترك بين الشرق والغرب رمي بها جرير والفرزدق والأخطل وبشار وأبو نواس والبحتري وأبو تمام والمتنبي"(١٩)، ومن البلاغيين العرب من أفرد لموضوع السرقة مساحةً ليست بالضئيلة في مؤلفاته، ومنهم من أشار إليه ومنهم من لم يشر إليه أصلاً. كذلك تباينت مواقفهم من السرقة؛ فابن قتيبة مثلاً نأى عن ذكر لفظ السرقة عن الشعراء المسلمين، مستبدلاً إياها بألفاظ مثل: الأخذ، والسلخ، والإتباع(٢٠). أما ابن سلاّم الجمحيّ؛ فاستخدم لفظي الاجتلاب والإغارة. أما الجاحظ فقد راوح استخدامه بين لفظي السرقة والأخذ. بينما تحدث الجرجاني حديثاً مختصراً مجملاً في كتابه "أسرار البلاغة" عن مفهوم الأخذ (السرقة) . في إطار وضعه لنظريته عن تقسيم المعاني إلي عقلية وتخييلية، وكلام الجرجاني يمكن اعتباره تأسيسياً في هذا الباب؛ إذ يقول الجرجاني: "اعلم أن الحُكْم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسَرَق، واقتدى بمن تقدَّم وسبق، لا يخلو من أن يكون في المعنى صريحاً، أو في صيغة تتعلق بالعبارة."(٢١)

٣– مجموعة كتاب . نظرية الأجناس الأدبية . ترجمة : عبد العزيز شبيل . كتاب النادي الثقافي بجدة ٩٩ . الطبعة الأولي . النادي الثقافي بجدة . المملكة العربية السعودية . ١٩٩٤/١١/٤ م . ص ١٤٦ .

١– عبده عبد العزيز قلقلية : النقد الأدبي في المغرب العربي . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . ١٩٨٨ .

٢٠– مصطفي السعدني : التناص الشعري : قراءة أخرى لقضية السرقات . الناشر المؤلف نفسه . الإسكندرية . مصر . ١٩٩١ م . ص ٥٣ .

٣– عبد القاهر، الجرجاني : أسرار البلاغة . مطبعة وزارة المعارف . استانبول . بدون تاريخ . ص ٢٤١ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

كلُّ واحد منهما وصفَ ممدوحه بالشجاعة والسخاء، أو حُسن الوجه والبهاء، أو وصفَ فرسه بالسرعة، أو ما جرى هذا المجرى."(٢٢)

ثم يفصّل ذلك بعض الشيء، إذ يقول: "فأما الاتفاق في عموم الغَرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلاً في الأَخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة، لا ترى مَنْ به حِسٌّ يدَّعي ذلك، ويأبَى الحكمَ بأنه لا يدخل في باب الأخذ، وإنما يقع الغلط من بعض مَن لا يُحسن التحصيل، ولا يُنْعم التأمُّل، فيما يؤدِّي إلى ذلك، حتى يُدّعَى عليه في المُحَاجّة أنه بما قاله قد دخل في حكم من يجعل أحد الشاعرَين عِيالاً على الآخر في تصوُّر معنى الشجاعة، وأنّها مما يَمدح به، وأن الجهل مما يذمَّ به، فأما أن يقوله صريحاً ويرتكبه قصداً فلا، وأمَّا الاتفاق في وجه الدِّلالة على الغرض، فيجب أنْ يُنظَر، فإن كان مما اشترك الناس في معرفته، وكان مستقرّاً في العقول والعادات، فإنَّ حُكْمَ ذلك، وإن كان خصوصاً في المعنى، حُكْمُ العموم الذي تقدَّم ذكره."(٢٣)

ويُعد أبو هلال العسكري من أكثر البلاغيين العرب اهتماماً بالسرقة، فوضع لها فصلين في كتابه المسمى "الصناعتين"؛ أحدهما: "حسن الأخذ"، الآخر: "قبح الأخذ"، صنفهما في الباب السادس تحت مسمى "حسن الأخذ وحل المنظوم". ويصدر الفصل الأول منهما بقوله: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم وصبها على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك م أحقّ بها ممّن سبق إليها، ولولا أنّ

٤- نفس المصدر . ص ٣١٣ .

١- نفس المصدر . ص ٣١٣ و٣١٤ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

القائل يؤدّى ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطقُ الطّفلُ بعد استماعه للغة "(٢٤)

ويمكن إجمال نظرة العسكري في عدة نقاط؛ هي:(٢٥)

- أن المعاني المشتركة ملك للعامة.
- إيمانه بتوارد الخواطر.
- أن لا مفرّ للمحدثين من الاستفادة من سابقيهم في المعاني.
- تفريقه بين السرقة، والسلخ؛ جاعلاً أساس التفرقة أخذ اللفظ مع المعنى أو تركه.
- أن الأخذ القبيح (السرقة) يكون في أخذ المعنى بلفظه كاملاً، أو جزءاً منه، أو أن يأخذ المعنى جميلاً ثم يفسده.

، البلاغيين العرب لم يكادوا يتفقوا في مصطلحاتهم سوى علي معني الأخذ (السرقة) والسلخ، وأنهم افترقوا غاية الفراق في باقي المصطلحات. غير أن ما يهمنا في هذا السياق؛ هو التأكيد علي قدم الظاهرة "العلاقة النصية" . تداخل النصوص . من حيث الممارسة والمصطلح، وإن اختلفت المسميات وتباين النقاد في ضبطهم للمصطلح.

إن كلام البلاغيين العرب كان منصرف إلي الشعر في عمومه دون النثر، فيما عدا ما ذهب إليه القزويني في مصطلحي العقد والحل، وذلك راجع إلي أن الفترة التي شهدت هذه الكتابات كانت فترة سيادة للشعر وسلطانه، بينما مازالت فنون النثر تشق طريقها في العالم العربي.

إن كافة ما أطلقه البلاغيون العرب من مصطلحات في هذا الباب يندرج تحت استخدام آلية العمد، إلا ما أسماه ابن رشيق بـ "المواردة" فيتبع آلية المصادفة، مما يدلل علي أن "العلاقة النصية" في مجملها؛ في القديم؛ كانت علاقة واعية يدركها المبدع.

كما أخرجوا مجموعة من المصطلحات من دائرة السرقة؛ وهي: التوليد . عند ابن رشيق، والمشابهة والنقل والقلب . عند القزويني. وأنهم عندما تعاملوا مع قضية "العلاقة النصية" تحت

٢- أبو هلال، العسكري . الصناعتين . عيسى الحلبي وشركاه . القاهرة . مصر . بدون تاريخ . ص ٢٠٢.

٣- أنظر ؛ المصدر السابق . ص ٢٠٢ و ما بعدها ؛ ص ٢٣٥ وما بعدها .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

ما اختاروه من مسميات، تعاملوا معها من حيث الشكل (البنية والمحتوى والتعبيرية

حيث الآلية (الطريقة/الإجراء) دون أن يتعاطوا القضية وظيفياً

٢-١- المعارضات الشعرية : كانت المعارضات الشعرية، لأنها أحد الحقول النقدية القديمة ، ستنداً آخرا ارتهن إليه بعض النقاد العرب في توافقه مع التناصية، ولكنها جاءت تالية في المرتبة بعد السرقات الأدبية، ومن ذلك ما لمح إليه عبد الرحمن إسماعيل من توافق التناصية مع ظاهرة المعارضة الضمنية التي تأتي بشكل تلقائي بعيدا عن قصد المعارضة الصريحة أو السرقة بسبب التداخل الشديد بين القنوات التراثية في أعماق اللاوعي عند الشاعر المتأخر. ويضيف إسماعيل صورة لدعم اقتراحه في تطابق المعارضة الضمنية مع التناصية، ويعلل ذلك لأن ارتباط الشاعر بتراثه كارتباط أحد الأغصان في شجرة كبيرة ببقية

نها، فهو لا يستطيع أن ينفصل عنها مستقلاً بنفسه أو مبتعداً عن جذوره التي تربطه بغيره من الأغصان فيأتي حاملاً نفس السمات والملامح التي تحملها بقية الأغصان وإن اختلفت طولاً وقصراً (٢٦). ومن الانتقادات التي يوردها تلك الإشارة التي دونها الحاتمي عن دور تداخل الكلام في كلام العرب، فهو كلام " ملتبس بعضه ببعض، وأخذ أواخره من أوائله، والمبتدَع منه والمخترع قليل إذا تصفحته وامتحنته . والمحترِس المتحفظ من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون آخذاً من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل طريق الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ، وأفلت من شباك التداخل ... ومن ظن أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره فقد كذب ظنه وفضحه امتحانه"(٢٧).

ويمكن أن يندرج تحت ذلك ما رآه سعيد يقطين الذي وصف النقائض بين جرير والفرزدق خير مثال لمفهوم النصية الجامعة (Hypertextuality)(٢٨)، و هذه العلاقة هي التي تصل بين نص أدبي (ب) ونص أدبي سابق (أ)، وهما يلتصقان ببعضهما .

٣-١- الاقتباس و التضمين : و على الرغم من أن التناص يبدو مصطلحاً جديداً، فإنه في الواقع مفهوم قديم، ذلك أن من يتمعّن في معجم النقد العربى القديم يعثر على أكثر

١- عبد الرحمن، إسماعيل: المعارضات الشعرية، النادي الأدبي، جدة، ١٩٩٤م. ص ٢٦ .

27- نفس المرجع ، ص ٢٦

٢٨- سعيد، يقطين: التفاعل النصي والترابط النصي، علامات ج٣٢، مجلد٨،مايو١٩٩٩م، ص٢١٧-٢٣٦.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

وعرّف آخرون التضمين بقولهم :« أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاماً آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود. ومنهم من قال أن الاقتباس و التضمين شيء واحد كالشيخ العثيمين رحمه الله. أما حكم الاقتباس:جاء في "الموسوعة الفقهية"(٦ / ١٧ ، ١٨):"يرى جمهور الفقهاء جواز الاقتباس في الجملة ، إذا كان لمقاصد لا تخرج عن المقاصد الشرعية ، تحسيناً للكلام ، أما إن كان كلاماً فاسداً : فلا يجوز الاقتباس فيه من القرآن ، وذلك ككلام المبتدعة، وأهل المجون، والفحش. قال السيوطي: لم يتعرض له المتقدمون، ولا أكثر المتأخرين من الشافعية ، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم ، واستعمال الشعراء له قديماً ، وحديثاً ، وقد تعرض له جماعة من المتأخرين، فسئل عنه الشيخ العز بن عبد السلام فأجازه ، واستدل له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله في الصلاة وغيرها:(وجهت وجهي... إلخ)، وقوله : (اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر).

وفي سياق الكلام لأبي بكر ... " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ".وفي حديث لابن عمر ..." لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ". وقد اشتهر عند المالكية تحريمه ، وتشديد النكير على فاعله ، لكن منهم من فرَّق بين الشِّعر فكره الاقتباس فيه ، وبين النثر فأجازه ، وممن استعمله في النثر من المالكية : القاضي عياض ، وابن دقيق العيد ، وقد استعمله فقهاء الحنفية في كتبهم الفقهية .

ونقل السيوطي عن " شرح بديعية " ابن حجة أن الاقتباس ثلاثة أقسام :

الأول : مقبول ، وهو ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .

والثاني : مباح ، وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

والثالث : مردود ، وهو على ضربين .

أحدهما : اقتباس ما نَسبه الله إلى نفسه ، بأن ينسبه المقتبِس إلى نفسه ، كما قيل عمن وقع على شكوى بقوله : " إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم " !! . والآخر : تضمين آية في

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي سواء كان هذا التناص نصاً تاريخياً أم دينياً أم أدبياً ويسمي هذا النوع (التناص المباشر)، وهو الاقتباس بلغة النص نفسها التي ورد فيها، وضرب أمثلة من ذلك: الآيات القرآنية، والأحاديث والأشعار والقصص، أما ما يقتبس بروحه أو مضمونه عن طريق التلميح أو الإشارة أو الرمز فهو التناص غير المباشر([٣٠]).

ومن الجليّ أن مصطلحي الإقتباس والتضمين وفق التعريف السالف يتقاربان مع مفهوم التناص في صورته الحديثة التى ظهرت في الدراسات النقدية المعاصرة. ومن جهة أخرى سعى عدد غير قليل من النقاد المعاصرين إلى وضع التناص في تصنيفات متنوعة : لتحديد أبعاده، والإحاطة بطرائقه، فصنّفه بعضهم حسب توظيفه في النصوص صنفين : أحدهما التناص الظاهر أو مباشر ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين، ويسمى أيضا الاقتباس الواعي أو شعوري ؛ أما الثاني فتناص ضمني غير مباشر وينضوي تحته الإيماء و المجاز و الرمز.

٤-١- توارد الخواطر: سُئل أبو عمرو بن العلاء عن شاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى واحد فقال "عقول رجال توافق على ألسنتها"، وقيل للمتنبي: معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي؟ فأجاب: "الشعر جادة، وربما وقع حافر على حافر" (٣١)، فقد أزال توارد الخواطر شبهة السرقة عن النص اللاحق لاعتماده على احتمال وقوع المصادفة على مستوى المعنى أكثر من اللفظ لتقارب لغة التعبير، ويمكننا إدراجه في التناص اللاواعي.

1-http://islamqa.info/ar/ref/119673- ١٠:٣٠ - 11/05/2012 -(رقم ١١٩٦٧٣)

الفتوى:

٢- أحمد، الزعبي: التناص التاريخي والديني: مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا لها، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد١٣، عدد١، ١٩٩٥م، ص ١٦٩.٢٠٠.

31- محمد، شعيب: المتنبي بين ناقديه، دار المعارف بمصر ١٩٦٤، ص١٨٦-١٨٧.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

شوطا متميزا في تحسين المعنى المتناص أو القياس بإخصابه وتكثيره.

٦-١- الإبداع : وهو تناول معنى سابق وإخراجه في أسلوب جديد وعبارة لم يسبق إليها لتتنحى عنه مذمة السرقة لكونه فاق اللاحق وتميز عليه بجدة المعنى.

٢- التناص في النقد العربي الحديث :

جاء الاستخدام النقدي لنظرية التناص في النقد العربي الحديث متأخرا ما يقارب ربع قرن على ظهوره في النقد الغربي، وكان من الطبيعي أن يحمل انتقاله إلى الممارسة النقدية العربية الإشكاليات التي كان يعاني منها على المستوى النظري و المفهومي على وجه الخصوص. كما كان من الطبيعي أن يقابل هذا المفهوم، كغيره من المفاهيم النقدية بتباين واضح في الموقف منه كما كان الحال في الثقافة التي ظهر فيها هذا المفهوم. ونظرا لكون الدراسة هنا تتناول استخداماته في الممارسة النقدية، وحمولته الدلالية المعبرة عن استيعاب هؤلاء النقاد للمفهوم، فإننا لن نتعرض لتلك المواقف التي استندت إليها في تحديد موقفها من ذلك سلبا أو إيجابا، وسنكتفي بعرض المصطلحات التي استخدمت في ترجمته، مع الإشارة في البداية إلى أن هذا المفهوم، لم يكن بعيدا عن الاستخدام النقدي في النقد العربي القديم، «فقد ذكره عبد القاهر الجرجاني واشترط للتمييز بينه، وبين الانتحال والسرقة والنسخ، تحقيق الإضافة والتجديد فـ(متى أجهد أحدنا نفسه، وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى، يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيتا، يحسبه فردا مخترعا، ثم يتصفح الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالا يغض من حسنه، ولهذا السبب أحضر على نفسي، ولا أرى لغيري بثَّ الحكم على شاعر بالسرقة» (٣٣)

32- نفس المرجع – ص ١٨٦-١٨٧.

33- مجلة الآداب اللبنانية- العدد ١-٢ كانون الثاني – شباط – السنة ١٩٩٨- ص٥٠ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

أما عن جهود النقاد العرب في ظاهرة التناص فهم كثر ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١-٢- الدكتور صبري حافظ :« من القضايا التي تطرحها الدكتور "علاقة النصوص بعضها بالبعض الآخر من جهة، وعلاقتها بالعالم وبالمؤلف الذي يكتبها من جهة أخرى، كما يطرح موضوع العناصر الداخلة في عملية تلقينا لأي نص وفهمنا له، وهو موضوع يشير بالتالي إلى أغلوطة استقلالية النص الأدبي التي تتبناها بعض المدارس النقدية، والتي انطوت بدورها على تصور إمكانية أن يصبح النص عالما متكاملا في ذاته، مغلقا عليها في الوقت نفسه وهي إمكانية مدومة إذا ما أدخلنا المجال التناصي في الاعتبار، وإذا ما اعتبرناه مجالا حواريا في الوقت نفسه".»(٣٤)

إن النص في ضوء مفهوم التناص بلا حدود فهو ديناميكي متجدد، متغير، من خلال تشابكاته مع النصوص الأخرى، وتوالده من خلالها ثم يعرِّف النص بأنه النص الذي لا يأخذ من نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه، بل هو يمنح النصوص القديمة تفسيرات جديدة، أو يقدمها بشكل جديد. ويحدد آليات التناص بآلية الاستدعاء والتحويل ما يتطلب النظر إلى اللغة، باعتبارها لغة إنتاجية منفتحة على مرجعيات مختلفة، وليس كلغة تواصل ، وهذا يذكّرنا بمفهوم الإنتاجية الذي تشترط كريستيفا تحققه في النص الجديد.

٢-٢- الدكتور أحمد الزعبي : من جهته يؤكد الدكتور أحمد الزعبي في كتابه (التناص نظريا وتطبيقيا) «أن موضوع التناص ليس جديدا تماما في الدراسات النقدية المعاصرة، وأن جذوره تعود في الدراسات الشرقية والغربية إلى تسميات ومصطلحات أخرى، لاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم، فهي مصطلحات أو مسائل تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة، لكنه يؤشر إلى مسألة هامة تتمثل في التفاوت الحاصل في رسم حدود المصطلح وتحديد موضوعاته. ولعل هذه الإشكالية المنهجية تتجاوز مفهوم التناص إلى غيره من النظريات

١- صبري، حافظ: أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات، القاهرة ١٩٩٦- ص٥٨ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

وتطبيقيا، ويعتبر الناقد الدكتور محمد مفتاح أكثرهم عملا على تطوير وإغناء هذا المفهوم .

٣-٢- الناقد الدكتور محمد مفتاح : فقد حاول "محمد مفتاح" في كتابه "تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص" أن يعرض مفهوم التناص إعتماداً علي طروحات "كريستيفا وبارت" وفي تعريفه للتناص عرض تعريفات هؤلاء النقاد وغيرهم ثم خلص إلي تعريف جامع للتناص "هو تعالق «الدخول في علاقة» مع نص حدث بكيفيات مختلفة.(٣٦)

أيضا هو في كتابه الآخر "دينامية النص" يعود ليعطي التناص تسمية جديدة هي "الحوارية" ويحاول أن يستخدم هذا المفهوم في إطار منهج يستمدّ في البايولوجيا أغلب مصطلحاته ومفاهيمه. وفي كتابه الآخر "المفاهيم معالم" الذي حدَّد فيه ست درجات للتناص، مخالفا بذلك كريستيفا و جينيت اللذين قدما ثلاث درجات له، وذلك بعد أن عرَّف التناص: «باعتباره نصوصا جديدة تنفي مضامين النصوص السابقة، وتؤسس مضامين جديدة خاصة بها يستخلصها مؤول بقراءة إبداعية مستكشفة وغير قائمة على استقراء أو استنباط.»(٣٧)

والدرجات الست التي يحددها هي:

ا. التطابق: ويتحقق في النصوص المستنسخة.

ب. التفاعل: فأي نص هو نتيجة تفاعل مع نصوص أخرى، تنتمي إلى آفاق ثقافية مختلفة، تكون درجات وجودها بحسب نوع النص المنقول إليه، وأهداف الكاتب ومقاصده.

ج. التداخل: ويقصد به تداخل النصوص المتعددة، بعضها في بعض في فضاء نصي عام. وهذا التداخل أو الدخول أو المداخلة، لم يحقق الامتزاج أو التفاعل بينها، وهي تظل دخيلة تحتل حيزا من النص المركزي.

٣٥- الزعبي، أحمد: التناص نظريا وتطبيقيا ، مرجع سابق، ص ١٩.

١- مفتاح، محمد : تحليل الخطاب الشعرى، إستراتيجية التناص، دار العودة ، ط١. بيروت ١٩٩٧ .ص ١٢١

٣٧- مفتاح، محمد: المفاهيم معالم: نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٩، ص٤١.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

د. التحاذي: و المجاورة أو الموازاة في فضاء مع محافظة كل نص على هويته ومرجعيته.

هـ.التباعد: وهو التحاذي الشكلي والمعنوي والفضائي، وقد يتحول إلى تباعد شكلي ومعنوي وفضائي.

و.التقاصي: ويقوم على التقابل بين النصوص الدينية والنصوص الفاجرة السخيفة على سبيل المثال.(٣٨)

٤-٢- الناقد محمد بنيس : فقد اجترح مصطلحاً جديداً للتناص أسماه ب"النص الغائب" علي اعتبار أن هناك نصوصا غائبة ومتعددة وغامضة في أي نص جديد وقد طرح هذا المصطلح في كتابيه "سؤال الحداثة" و"ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" وقد اعتمد أيضاً علي طروحات "كريستيفا وبارت وتودوروف" والتناص عنده يحدث من خلال قوانين ثلاثة وهي:الاجترار، الامتصاص والحوار ويضع بنيس النص المتناص مرجعيات عدة منها: الثقافية والدينية والأسطورية والتاريخية والكلام اليومي.»(٣٩)

٥-٢- الناقد سعيد يقطين: و يجترح سعيد يقطين تسميات عدة يشتقها من النص والتناص مثل التفاعل النصي، التناص التداخلي والخارجي ويحدد نوعين من التناص: "عام وخاص".

التناص العام: علاقة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب.

والتناص الخاص: علاقة نصوص الكاتب بعضها ببعض.

وأيضاً يحدد شكلين للتفاعل النصي وهما:

- التفاعل النصي الخاص: بدو حين يقيم نص ما علاقة مع نص آخر محدد وتبرز هذه العلاقة بينها علي صعيد الجنس والنوع والنمط معاً.

٣- نفس المرجع ، ص٤٧.

٣٩ - بنيس، محمد: حداثة السؤال ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، طبعة أولى ، ١٩٨٥، ص ١١٧

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

المتداخل . بـ "التفاعل النصي"، إلي "تفاعل نصي عام" و"تفاعل نصي ذاتي"، وتحدد "التفاعل النصي العام" بأنه: "يحدث بين النص ونصوص جنسه من جهة وبين النص والأنواع المختلفة (من غير جنسه) من جهة ثانية. ثم تعرض لقائمة من التفاعلات النصية المحتملة لأي نص، وهي:

. التفاعل النصي مع الأسطورة.

. التفاعل النصي الديني (مع التوراة، مع الإنجيل، مع القرآن، مع الحديث الشريف ..)

. التفاعل النصي (مع الحكمة،مع المثل ، مع النكتة، مع الحياة اليومية ...)

. التفاعل النصي مع الحكاية، والرواية، والمسرحية (حدثاً وأسلوباً، آلية وتقنية، لفظاً وتركيباً....)

أما "التفاعل النصي الذاتي"؛ فتحدده بأنه الذي يحدث بين نصوص الكاتب نفسه، أي أن النصوص تقيم حواراً ذاتياً داخلياً (٤١).

٢- يقطين، سعيد: انفتاح النص الروائي، النص، السياق، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، طبعة أولى، ١٩٨٩،ص٩٥

3- أنظر: نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي، مرجع سابق، ص ٢٧٨ إلى٢٨٤ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

المبحث الثاني : التناص أنواعه وقوانينه وأهميته

نتعرف في هذا المبحث على أنواع التناص و القوانين التي تحكمه :

أولا – أنواع التناص: هناك من حدد نوعين للتناص ومنهم الدكتور أحمد الزغبي: تناص مباشر(تناص التجلي) أو غير مباشر (تناص الخفاء).

* **التناص المباشر:** فيدخل تحته ما عُرف في النقد القديم بالسرقة و الاقتباس، والأخذ والاستشهاد والتضمين، فهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة، ومتفاعلة إلى النص، و يعمد الأديب فيه أحياناً إلى استحضار نصوص بلغتها التي وردت فيها، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي، أو الشعر والقصة.

* **التناص غير المباشر:** فينضوي تحته التلميح والتلويح والإيماء، والمجاز والرمز، وهو عملية شعورية يستنتج الأديب من النص المتداخل معه أفكاراً معينة يومئ بها ويرمز إليها في نصه الجديد(٤٢).

*ومن الباحثين العرب من يذكر أنواعا أخرى للتناص منهم الدكتور نور الدين السد وهي:

أ– التناص الذاتي: "عندما تدخل نصوص الكاتب الواحد في تفاعل مع بعضها ويتجلى ذلك لغويا وأسلوبيا ونوعيا"(٤٣).

يقصد به عدم تجاوز الكاتب إبداعه الشخصي والفردي إلى غيره من النصوص أي أن نصوصه تشكل علاقات مترابطة بعضها مع البعض الآخر لتساهم في معرفة ثقافة الأديب وإبداعاته الشخصية وآثاره ومدى تطور فكره أو جهوده، ومثال ذلك قول أبي العتاهية:

أف للدنيا فليست هي بدار وإنما الراحة في دار القرار (٤٤)

١– أنظر: الزغبي ، أحمد : التناص نظريا و تطبيقيا ، مرجع سابق ، ص ١٩.

٢– نور الدين، السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر، ج٢، (د، ت، ط)، ص١١٢.

44– أبو إسحاق إسماعيل (أبو العتاهية)، ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ١٩٩٨، ص ١٤٢.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

وفي قصيدة أخرى ورد قوله:

ألا إنما الدنيا لأهل الغرور ... وما أنا من دنياي إلا غرور

فالشاعر في هذين البيتين يتأفف من الدنيا ويصفها بدار الغرور و الراحة الحقيقية هي في دار القرار.

ب- التناص الداخلي: "حينما يدخل نص الكاتب في تفاعل مع نصوص كاتب عاصره سواء كانت هذه النصوص أدبية أو غير أدبية"(٤٦).

ويقصد به تجاوز الكاتب إبداعه الشخصي والفردي إلى إبدع كاتب آخر من عصره شريطة أن يحدث تفاعل بين نصوص بعضهما كقول أبي العتاهية :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه رب امرئٍ حتفه فيما تمناهُ

ويقول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ج – التناص الخارجي: "حينما تتفاعل نصوص الكاتب مع نصوص غيره التي ظهرت في عصور بعيدة"(٤٧). ويسمى أيضا بالتناص المفتوح بحيث:" لا يرتبط بدراسة علاقات النص بنصوص عصر كعين، أو جنس معين من النصوص بل هو تداخل حر يتحرك فيه النص بين النصوص بحرية تامة، محاولا أن يجد لنفسه مكانا في هذا العالم"(٤٨) .

ويقصد به تجاوز الكاتب إبداعه الشخصي والفردي وإبداع كاتب من عصره إلى تفاعل مع إبداع كاتب من عصور سابقة بعيدة عن عصره وانفتاحه على العديد من النصوص، ومنه قول أبي العتاهية:

ويُرزَقُ الإنسانُ مِنْ حيثَ لاَ يرجُو وأحياناً يضلُّ الرَّجَا (٤٩)

– نفس المصدر، ص .

١٥٤45

٤٦– نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق . ص١١٢.

٤٧– نفس المرجع، ص١١٢.

٤٨– حسن محمد حماد: تداخل النصوص في الرواية العربية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،ط)، ١٩٩٨، ص٤٦.

٤٩– ديوان أبي العتاهية، مصدر سابق، ص٠٧.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

—التناص– في الشعر المنسوب إلى الإمام على بن أبي طالب –τ– في قوله(٥٠) :

فَلَو كُنت بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَذَانِ : ادْخُلُوا بِسَلَامِ

وهذا التأثير لم يكن بصورة لافتة للنظر في ذلك العصر ، لأنه كانت علاقة قريبة بين القرآن والشعر — كما ظهرت ملامح هذا التأثير بصورة جلية في العصر الأموي وما بعده ، وقد روى الثعالبي أنه قد "أتى الحجاج برجل من الخوارج وأمر بضرب عنقه فقال : إن رأيت أن تؤخرني إلى غد فافعل فقال :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ لَهُ كُلّ يومٍ فِي خَلِيفَتِهِ أَمْرِ

فقال الحجاج : انتزعه من قوله تعالى (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) وأمر بتخلية سبيله(٥١). وقد ظهر التناص القرآني جليا في العصر العباسي وخاصة في شعر أبي العتاهية الذي كثر فيه التناص القرآني وسوف نحاول في الجانب التطبيقي التطرق له بنوع من التفصيل.

ويعد الحديث النبوي الشريف الرافد الثاني _ بعد القرآن الكريم _ الذي نال نصيبه من العناية والاهتمام لدى الشعراء العرب، وذلك نظراً لما يتمتع به الحديث النبوي من مستوى لغوي رفيع إلى جانب المكانة التي يحتلها باعتباره مصدر التشريع الثاني في الدين الإسلامي، وقد دلل على هذه المكانة قول ربي عز وجل " "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (٥٢)، وقد ظهر تأثّر الشعراء بالحديث النبوي من خلال استلهامهم معاني الأحاديث النبوية الشريفة في أشعارهم، منذ عصر النبوة فنجد شاعر الرسول حسان بن ثابت ينشد فيقول:

٥٠– أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٣٤/١،تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر — ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

٥١ – الاقتباس من القرآن الكريم ، تحقيق: د. إبتسام الصفار، دار الوفاء ، بغداد، ط١ ، ١٩٩٢.ص ٩٦.

٥٢– سورة النجم ، الآية : ٣–٤.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :" كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ " . (٥٤)

أما في عصر بني أمية فنجد الفرزدق يستعين بحديث الرسول £ في مدح الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(رضي الله عنهم أجمعين) حين قال:

من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنجًى وَمُعتَصَمُ

فهو قد استعان بالحديث التالي: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ زَنْجَلَةَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ ، عَنْ أُثَالِ بْنِ قُرَّةَ ، عَنِ ابْنِ حَوْشَبٍ الْحَنَفِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي أُمُّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ : جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُتَوَرِّكَةً الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فِي يَدِهَا بُرْمَةٌ لِلْحَسَنِ ، فِيهَا سَخِينٌ ، حَتَّى أَتَتْ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قُدَّامَهُ ، قَالَ لَهَا : " أَيْنَ أَبُو الْحَسَنِ ؟ " ، قَالَتْ : فِي الْبَيْتِ ، فَدَعَاهُ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٌّ ، وَفَاطِمَةُ ، وَالْحَسَنُ ، وَالْحُسَيْنُ يَأْكُلُونَ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَمَا سَامَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَكَلَ طَعَامًا قَطُّ إِلا وَأَنَا عِنْدَهُ ، إِلا سَامَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْنِي بِ " سَامَنِي " : دَعَانِي إِلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ الْتَفَّ عَلَيْهِمْ بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُمْ ، وَوَالِ مَنْ وَالاهُمْ " . (٥٥)

وهكذا كان الشعراء يستعينون بالأحاديث النبوية من الفينة إلى الأخرى حتى العصر العباسي الذي ازدهر فيه الزهد فنجد أبا العتاهية يستقي معاني أبياته من أحاديث الرسول£.

٥٣- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الدّيوان وصحّحه عبد الرحمن البرقوقي،مطبعة الرحمانية بمصر،١٣٤٧هـ -١٩٢٩م. ص٣٠١.

4_http://www.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?hflag=1&bk_no=7 &pid (موسوعة الحديث، رقم الحديث: ٤٦. يوم ٢٠١٢/١١ على الساعة ١١:٠٤)

٥٥- موسوعة الحديث، رقم الحديث: ٦٩٠٢.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

ثانيا – قوانين التناص:

وتوظيفها في نصه، أي أن الكاتب يوظف نصوصا غائبة في نصه الحاضر ولكن هذا التوظيف لا يكون عشوائيا ومطلقا بل له قيود وقوانين يستند إليها، ومن بينها نجد:

أ – الاجترار: وفيه يعيد الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه، وقد ساد هذا النوع التناصي في عصور الانحطاط بحيث تعامل الشعراء في تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي سكوني خال من التوهج وروح الإبداع، وبذلك ساد تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية في إنفصالها عن البنية العاملة للنص كحركة و صيرورة وكانت النتيجة أن أصبح النص الغائب نموذجا جامدا تضمحل حيويته مع كل إعادة قراءة(٥٦).

يعني هذا النوع من التناص هو تكرار للنص الغائب من دون تغيير ولا تحوير و يكون خال من الإبداع كقول الشاعر مفدي زكرياء:

هو الإثم زلزالها فزلزلة الأرض زلزالها

وقال ابن آدم في حمقه يسألها ساخرا مالها؟

آلا إن إبليس أوحى لكم أن ربك أوحى لها (٥٧)

فهذه الأبيات ما هي إلا اجترار مع الآيات من سورة الزلزلة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا {١} وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {٢} وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا {٣} يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا {٤} بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا {٥} ﴾(٥٨)

فالشاعر هنا في حالة تناص مباشر يجتر سورة الزلزلة بطريقة آليّة بسيطة، جامدة، خالية من الإبداع.

ب– الامتصاص: هو أعلى درجة من المستوى السابق حيث ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته، فيتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل، بل يساهمان في استمراره كجوهر قابل للتجرد ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقذه ،

---

٥٦ – محمد، بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر: مقارنة بنيوية تكوينية ، دار العودة، بيروت (د، ط)، ١٩٧٩، ص٢٥٣.

٥٧ – مفدي، زكريا : اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (د ط)، ١٩٨٣ :ص٩٣ .

٥٨– سورة الزلزلة الآيات :١–٢– ٣– ٤– ٥.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

المساس بالأصل مع تقديسه واستمرارية النص وعدم نفيه، كقول مفدي زكرياء:

احفظوها زكية كالمثاني وانقلوها للجيل ذكرا مجيدا(٦٠)

جاءت لفظة المثاني في البيت تناص مع قوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ {٨٧}﴾(٦١)

يدعو الشاعر هنا إلى حفظ قصة البطل أحمد زبانا مثلما تثني سبع آيات من سورة الفاتحة أي تتكرر قراءاتها في كل صلاة فلابد أن تتكرر وتنتقل قصة هذا البطل من جيل إلى آخر.

إذن الامتصاص هو أعلى درجة من سابقه وفيه ينطلق من الإقرار بأهميته النص الغائب وضرورة امتصاصه ضمن النص الماثل كاستمرار متجدد.

ج- الحوار: تعد طريقة الحوار أرقى مستويات التعامل مع النص الغائب حيث يفجر الشاعر فيه مكبوته ونواته ويعيد كتابته على نحو جديد وفق كفاءة فنية عالية، وهذا التناص هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب، ولا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة.(٦٢)

فإن الحوار يكون بتفاعل الكاتب مع النص الغائب بتحطيمه وبتحويره وتطويره، وقلبه وتحويله مهما كان نوعه وشكله وحجمه ولا مجال لتقديس النصوص الغائبة، وإعادة بناء جديد وفق وجهة نظرته الخاصة كما جاء قول عبد الحميد بن هدوقة:

" أتهم لا هذا ولا ذاك لأنني لم أر ولم أسمع شيئا"، "إن الظن لا يغني من الحق شيئا"(٦٣). يتحقق الحوار هنا مع قول رب العزة ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ

٥٩- محمد، بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر مقارنة بنيوية تكوينية، مرجع سابق، ص٢٥٣.

٦٠- اللهب المقدس، مرجع سابق، ص١٠٣.

٦١- سورة الحجر، الآية ٨٧.

٦٢- محمد، بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر مقارنة بنيوية تكوينية، مرجع سابق ، ص٢٥٣.

٦٣- عبد الحميد، بن هدوقة : رواية نهاية الأمس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، طبعة ثانية ١٩٧٨-الجزائر- ص٢٣٨ .

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

وتعالى إلى تجنبه، فربط بن هدوقة هذا المعنى بالمعنى الوارد في المقولة لأن رؤيته عادلة في الحياة وهو صاحب حق.

ثالثا– أهمية التناص و دواعيه :

أ– أهمية التناص :

بعد التتبع لمظاهر التناص في الثقافة الغربية، وتأصيله في الثقافة العربية فإنه لا فكاك لنا من التسليم بضرورة التناص وأهميته في الثقافة الإنسانية بشكل عام، وفي تطور الأدب بشكل خاص فكل الدراسات تؤكد على أهميته كضرورة حتمية لا مناص منها فهو للشاعر بمثابة الهواء والماء، الزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما، فالشاعر يجد نفسه ملزما بالأخذ بشروط التناص الزمانية والمكانية، وما دار في هذا الزمان والمكان، فضلا عن ما تختزنه ذاكرته من أحداث تاريخية.

كما أن معرفة المحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه الشاعر هو الرافد الأساس الذي تنبع منه التأويلات النصية من طرف المتلقين من خلال عكسهم للنص على ما دار في الواقع المعيشي، مما يجعل تجاهل آليات التناص أمرا غير ممكن، لأن تجاهل وجوده هروبا إلى الأمام، ولعل هذه الإلزامية هي التي جعلت الشعر العربي القديم يعيش في دوامة {الإبداع والإتباع } حيث لم يجد بدا من الخروج منها لعدم تبلور الرؤية في نظر النقاد. بينما ظهرت المسألة في النقد الحديث كضرورة إلزامية لا غنى عنها للأدب، حيث إن عملية التناص هي التي نستطيع من خلالها تأويل النصوص وتفسيرها، ولعل هذا التصور هو الذي ذهب إليه النقاد العرب المحدثون " إن التناص له ضرورته وأهميته لأن الأمر يتعلق بتوجيه قراءة النص والتحكم في تأويله".

فليس للنص لغة معزولة عن العالم أهمية إذ لا يمكن فهم ما يدور حوله إلا إذا اعتبرنا أنه بنية متشابكة من نصوص متعددة أي انه نسيج من أبنية نصية سابقة عليه تبعا

٦٤– سورة الحجرات : الآية ١٢.

This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message

خلال عملية تلمسه لها.

ب – دواعي التناص:

رغم الأهمية الأدبية التي تبوأها التناص في الدراسات الأدبية حيث تبين أنّه لا غني عنه للشاعر ولا الكاتب أيًّا كان، فإنه لا يمكن أن نعتبر أنّ التناص وليد الصدفة، ولا يصح أن يكون كذلك. ذلك أن الثقافة الإنسانية محكومة بسمة التوليد والاستنتاج وكلما طال عمر الثقافة آيًّا كانت فإنها تكون أكثر حظا في التعالق ما بين الحاضر والماضي.

والنظر في قضية اللغة كظاهرة إنسانية متجذرة يوضح أن الإنسان لا يمكنه الانقطاع عن الماضي الثقافي له، إذ أنه ليس في مقدوره اختراع اللغة، كما لا يمكنه الاستغناء عنها، لأنه لن يكون مسموعا من طرف مجتمعه، ومن هنا فإنه يعجز عن الاستمرارية في التواصل مع الآخرين، فاللغة نتاج اجتماعي لا يمكن إهماله، بل لا بد من التمسك به، والرجوع إليه، حتى يتسنى للقارئ والمتلقي بصورة عامة فهم مداخيل هذا النص، ولن يكون ذلك إلا بوضعه في إطاره الاجتماعي خاص كما عاشه كاتبه وجماعته الاجتماعية .

علاوة على ذلك فإنه لا يمكن إهمال دور الثقافة التراثية دون قصد الكاتب أو الشاعر لأن هذا الشاعر الذي انسجم مع هذه اللغة وفهم مدلولاتها، فإنه سيجد نفسه مرغما على التعامل معها، والأخذ منها حيث استقرت في ذاكرته وكونت لديه مرجعية ثقافية معينة، أصبحت تشكل جزء كبيرا من بنيته الفكرية.

لذلك فإنه من الجدير بنا أن نذكر أن التناص وليد التراكمات الثقافية لدى الإنسان، وبالتالي فإنه من أهم الدواعي التي أسهمت في إرساء قواعد التناص الأدبي هي الخلفية الثقافية في التراث.

إذن فالتناص ليس مجرد استعارة ألفاظ من ألفاظ أخر أو أفكار من أفكار أخريات ولكنّه جهاز ثقافي يسعى إلى ربط الثقافة الأدبية الجديدة مع القديمة فينشأ عن ذلك وعي

بوحدة الثقافة وامتداداها وترسيخ الماضي في الحاضر، وتحريك اللغة وبعثها من مرقدها
This file was edited using the trial version of Nitro Pro 7
Buy now at www.nitropdf.com to remove this message
في العصر المعلومة والمعلوماتية